دراسات فولكلورية

نقد ودراسة موال أدهم الشرقاوى

أن كل أديب لا يستقى مادته
وروحه من حياة الشعب فليس أديبا
ولاهو بكاتب للادب ، وعلى ذلك
فلابد أن تعرف ماذا يقول الشعب
وكيف يحكى حكاياته وأقاصيصه .

طه حسين

مقدمة : سمير سليم
نقد : حمدى ع. راضى
دراسة : محمد فهيم القاضى

للعدد كلمة

باسم السلام والحب والفن والحقيقة تدخل اللجنة المركزية الثقافية المصرية فى سبيل فن مصرى حقيقى أصيل بلا زيف ولا ارتوش ، مزودة بإرادة قوية عميقة ، وإيمان بالرسالة وعمل فى سبيل تحقيق ، الهدف وتقدير القارىء العربى . وفقنا الله لما فيه خير مصر والسلام .

لجنة الفن الملتزم

الطبعة الأولى

مايو ٥٧

فى الأدب الشعبى

يواجه الأدب الشعبى عقبتان فى سبيل ظهوره فى الوقت الحاضر فمن قائل أننا بدعوتنا إلى الأدب الشعبى كميدان للدراسة نحط بتفكير ناوثقافتنا بل نتخلى عن طلب الإفدام فى العلم ، والانتهال من منهل الثقافة الرحب الذى ليس فى مضمونه مجالا للدراسة الشعبية ـ تلك الثقافة السامية المترفعة عن الآداب الشعبية وواضح أنهم يرون فى دراسة الفولكلور دعوة للانحطاط العقلى ـ ومن قائل أننا ندعو بذلك إلى إحلال العامية ـ لغة الشعب ـ محل الفصحى وفى ذلك هدم جانب هام من القومية العربية وهناك رد على هذين الزعمين اللذين ينفذان من طاقة ضيقة للغاية ينظر منها أصحاب هذه الدعاوى إلى الفولكلور .

الشعب مبدع .. خالق .. واع ، وبمجرد النظر إلى تاريخ أى ثورة يرى فى الشعب محركا ووقودا ، وكل ثورة ناجحة إنما قامت على أساس متين ودعامة قوية من الإيمان بالشعب وقوته ووعيه وويل لمن يحتقر الشعب!

وهكذا نرى أن دراسة فنون هذا الشعب وآدابه ليس دراسة تتنافى مع السمو العقلى ، بل هى السمو العقلى ذاته ! فالفولكلور فن وأدب وتراث وأساس دراسة كل مجتمع فى كل عصر وزمان .

والفولكلور قديم قدم الشعوب ، أما الإهتمام به فظاهر فى القرن

الثامن عشر حين اجتاحت العالم هزة عنيفة جعلته يؤمن بالشعب فكان التراث الشعبي حديث كل عالم في هذا القرن ، وكان لانتشار الأساطير والأقاصيص الشعبية اهتماما كبيرا عند جميع الدول الأوربية لأنه ينبع من الشعب معبرا عن آماله وأحلامه معبرا عن فنه وذوقه ، وزاد الاهتمام بالفولكلور فانتشر في أمريكا وفرنسا وألمانيا وخاصه أن الفولكلور مفتاح أو أساس بناء الدولة ، فعند دراسة دولة عظيمة - عندما نريد أن نسمو ونتطورها - فاننا نبحث في ماهية فنها وتراثها ، ومدى فهمها لمشكلاتها ومن أجل هذا قامت الدراسات الفولكلورية ، وقامت المدارس المختلفة في هذا الفن وأهما المدرسة الوضعية (السيرچ بمس فريزر) ، وسرت هذه التطورات وبوادر هذا العلم إلى الشرق ، كما كان للمستشرقين أثرا كبير فيه ، وابتدأ الإهتمام بالفولكلور في مصر - أعني الدراسة الجدية في النصف الأول من القرن العشرين ، وقامت دراسات قوية عميقة فيه رغم قصر المدة ، وقلة المهتمين ، وكثرة المتشدقين !

فقدمت رسالات لنيل الدكتوراه في الفن الشعبي وأصوله شجعها عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ، منها دراسات في الهلالية ، وألف ليلة وليلة ، وسيف بن ذي يزن ودراسات أخرى شعبية عامية مثل الظاهر بيبرس للشاعر بيرم التونسي .

ونتقل بعد ذلك إلى مناقشة مسألة اللغة وإحلال اللغة العامية وهي

لغة الشعب محل اللغة الفصحى لغة العرب وأساس القومية العربية التي تدعوا إلى تحقيقها جادين عن طريق الفن والأدب والسياسة والتاريخ ، والواقع أن أحسن مايرد على هذا التشكك مايقوله الدكتور محمد مندور في هذا الموضوع وهو يضع حد الأمثال هذه الدعاوى التي تدور حول اللغة الفصحى والفولكلور ولغة الشعب : الواقع أن دراسة اللهجات العامية لايقصد بها إحلال تلك اللهجات محل اللغة الفصحى ، كما لايقصد من دراسة الأدب الشعبي إحلاله محل الأدب الفصيح ، فالأدب الشعبي وسيلة لفهم هذا الشعب ومواضع آلامه ، ومحط آماله واشراق روحه ، واستشفاف لعقليته ، وعبقريته الخاصة التي تنعكس في لغته وأدبه .

شيء واحد يلفت النظر في موجه الاهتمام بالأدب الشعبي هذه الأيام : في المجلة الأدبية الرسمية نرى الحديث مسلسلا عن الفولكلور ، هذا الحديث ملىء بافتعال الاهتمام ولا أرى هذه الدراسات غير قشور تملأ الصفحات ، وفي كتب أخرى براقة نجد أنها حلت محل أخرى قديمة نلمس هنا وهناك أن بعضهم ينسى أو يتناسى أن التعرض للكتابة عن الفولكلور إنما هو عبء ثقيل يستدعي الصبر والتعمق والأمانة .

سمير سرحان

أدهم الشرقاوى ..

من الخبر .. الى الأسطورة

بدأ الأمر بسيطا للغاية ، مجرد خبر عادى لم يكن أحد يتصور أن ينتهى هكذا أبدا ، حتى أصحاب الخبر أنفسهم ، وكل شىء فى حياتنا يبدأ بسيطا سهلا ، ثم يبدأ التشابك والتعقيد وربما ينتهى بشىء آخر جد مختلف عن أصل الواقع ، وهكذا الحال مع موال أدهم الشرقاوى!

ترى هل يستحق الموال .. هذه القطعة الفولكلورية كل هذا الاهتمام؟! والسؤال يحمل إجابته ! انه قطعة فنية نسجها الناس بأصابع الخيال الساذج وتغنوا بها ، وكل بسيط جميل مادام من صنعك ! وثمة شىء آخر هام ، أن الذين يكتبون عن الفولكلور لم يعرفوا الحقيقة وراء موال أدهم الشرقاوى ، ورغم ذلك فقد تصدوا بالدراسة بل أن منهم من كتب قصته طويلة كاملة أو هكذا اخيل إليه ورغم احترامى لها كقصة فأنا لا أحترمها كفولكلور .. ان توفيق الحكيم حين كتب ايزيس وتدخل بخيال المؤلف فيها أثار النقاد ، وهكذا .. فهناك شىء إسمه الأمانة للشعب ولفنه وأساطيره ، ولذلك فقد تنقلب المحاولة إلى جريمة فى حق الفولكلور والكلام يثير كثيرا من مشاكل الفن ويخرج بنا عن الموضوع وهو نقد الموال !

«ولد أدهم عبد الحليم الشرقاوى فى العقد الأخير من القرن الماضى لرجل نزح مع آبائه مطرودا إلى «زبيدة» مركز «ايتاى البارود» بسبب اضطهاد عائلة «اللوح» لهم فى «كفر سليمان نحارية» وبدأت اتصالهم بعائلة «راضى» فى البحيرة بحكاية تشبه روايات ألف ليلة ! فبعد أن استقرت العائلة فى زبيدة توافد طالبو الزواج من ابنة كبير العائلة الجميلة فاشترط إعادته إلى أرضه كفر سليمان الراغب فى الزواج منها ، وكان شرطا قاسيا قبله كبير عائلة «راضى» وأعاده كريما وتزوج وحيدته بعد أن تعهدت عائلة «اللوح» بالسلام الذى اندثر بوفاته ، فطردوا للمرة الثانية وعادوا إلى «زبيده» ليستقروا بها إلى الوقت الحاضر ، ولا تسل أين كانت الحكومة فمعلوم أين كانت ! ، ولد «أدهم» بعد استقرار العائلة نهائيا بزبيدة وبعد أن صاروا من كبار أغنيائها ، وخاصه أباه عبد الحليم وعمه محمود ، ولعمه هذا دور كبير ، وأثر عظيم فى حياته فقد كان محمود هذا شغوفا بل مربضا بحب السيطرة وكون عصابة لا هم لها إلا إيذاء الآخرين ! ولعل ذلك لشعوره بالنقص بعد طرد عائلته من موطنها ، فطغى وتحدى الجميع ، وخشيه الناس لقوته وسطوته ، تحدى «محمد سعيد باشا» بأن خطف شقيقته وتزوجها وتحداه ثانيا عندما خرب وعصابة عزبته وعندما عين محمد سعيد وزيرا

الداخلية بعث قانسون النفى الإدارى من مرقده وكان «محمود الشرقاوى» أول من نفذ فيه فنفى إلى الحاريق وأرسل فى طلب جارية وتزوجها وأنجب طفلين من مشاهير المحامين حاليا واستمر فى المنفى سنينا سبعة عاد بعدها ثائرا وحاول أن يعيد مجد العصابة وكان أن ينجح فى ذلك لولا أن مات قتيلا بيد أحد عملاء عزبة شاكر المجاورة وقيد الجانى مجهولا ثم يبدأ الموال :

منين أجيب ناس لمعنات الكلام يتلوه .
شبه المؤيد إذا حفظ العلوم وتلوه
الحادثة اللى جرت على سبع شرقاوى
الاسم أدهم لكن النقب شرقاوى
الولد كان بالمدرسة عنده من السن ١٣
وتنه فى المدرسة لما بلغ من السن ١٨

بمقدمة الموال إشارات لطيفة ذات معنى وبالبيت الخامس مخالفة يسيرة .. لا بأس .. أدهم ترك التعليم الأولى فى الرابعة عشر ، ولم يعلم بموت عمه إلا بعدها بسنين تسع ، ويقول أقرباؤه أنه كان مريضا بعقله بعد أن ضربه أبوه مرة ضربا مبرحا أدى لارتجاج فى المخ ، إلى أن حدثت حادثة بسيطة كانت نقطة التحول فى حياة أدهم ، فقد راوده شحاذ ضرير عن نفسه فثار وضربه بعكازه فشج رأسه وحكم عليه بالسجن

شهرا أمضاه وغادر السجن وبرأسه فكرة شيطانية ، فقد جمع عصبة متخذا من عمه المنفى مثلا أعلى ، عائث العصابة فى البحيرة فسادا وقد أخطأ أدهم حين اختار عبد العظيم السقا ليكون أحد رجاله فقد كان ساذجا أبله وقد حدث أن ضبطت العصابة وحولت لمحكمة الجنايات ولم يشهد أحد بالطبع لرهبته من أدهم عدا عبد العظيم هذا الذى اعترف أثناء المحاكمة بكل شىء وثار أدهم وانتزع سلاح الحارس وأهوى به على السقا بجانبه فى قفص الاتهام !

وعد القاضى ذلك إهانة للمحكمة فحكم عليه بالاشغال الشاقة سبع سنين ومنعت الحكومة حمل السلاح الأبيض لجنود البوليس وبيع هذا السلاح للشعب ! .. ونعود للموال ، فبعد أن يحكى حوادث لا أصل لها ويترك الحوادث التى ذكرتها آنفا يدخل أدهم السجن ويعرف قاتل عمه

واللى يقول أنا من الشرقية رموتى أعز أصحابى
واللى يقول أنا من المنوفيه قاتل سبع شرقاوى
قال تعالى ياللى العين عليك بتدور
ياشبه قنديل فى وسط البيت منور

والعرض جيد وتسلسل الحوادث لا بأس بها ؛ لم يعلم المتفاخر أنه يحفر قبره بلسانه فقد قتله أدهم بعد اشتعال معركة بالجبل ، وأصرت النيابة على طلب إعدام أدهم ولكن بفضل براعة محمد أبو شادى وهو

من المحامين ـ الذين تعلموا على طريقة سعد والهلباوى وسيف النصر ـ خففت العقوبة إلى السجن المؤبد ومرت الأيام ، وهرب أدهم من السجن أيام إضراب « الكناسين » وإخراج المساجين للقيام بعملهم ، ولكن الشاعر الفولكلورى يصر على نسب الصفات الأسطورية لأدهم :

الولد كان رفيع الوسط سبحان خلاقه
أنحنى وانفرد فى الزنزنه هد أركانها.

وعاد إلى قريته كوحش أعمى ، وقتل فى الطريق « عبد الجليل السيوى » عمدة نبيره ـ ايتاى البارود ، واستولى على مامعه ، ثم تحول إلى أقربائه وكانت حيلته فى الهرب قد انتشرت والتقى بزملائه فى السجن وكون أخطر عصابة عرفتها مصر فى ذلك الوقت ، فى الوقت الذى حكم بإعدامه غيابيا ومكافأة ضخمة لمن يرشد عنه ، وأبتدأت أخطر مرحلة فى حياة أدهم اكان يعلم مصيره المحتوم فصمم على النضال للنهاية وتوالت انتصاراته على البوليس واحتياله عليه كسرقة سلاحه ، وتنكره فى زى امرأة تشكو أدهم ، وهنا يصف الشاعر الفولكلورى تسلل الغرور إلى أدهم ويبدع فى التورية حين يقول.

دنا الأدهم ياحكومة سمعت بايع عمره قد اثنين
دنا الأدهم ياحكومة سمعت أنه يجمع من الرجال الفين
دنا الأدهم ياحكومة قتل لى من العيال اثنين .

والموال يصف معارك أدهم ضد الحكومة مبالغا مشفقا مشجعا :

حالا بعتو له أورطه هجانه الولد كان فى النشان صياد
أول نشان وقع سته بين مجروح وبين عيان
وثانى نشان وقع سته والباقى رجع بين مجروح ودهشان

بدأت نهاية أدهم واضحه عندما تعهد عمدة التوفيقية بتسليمه فى مؤتمر العمد البحيره ناشد هم البوليس فيه أن يساعدوه فى الارشاد عنه وخشيه الجميع ، فتعهد «على راضى» بذلك ، وأثار الخبر أدهم ولكنه خاف قوة العائلة فاكتفى بالتهديدات التى لم يعبأها أحد وأصر الرجل على موقفه ، وإزاء هذا الاصرار ، وذلك التحدى ، ونتيجة لكليهما ، لقى أدهم مصرعه بيد أحد باشجاويشات البوليس فى مزرعة الذرة بعد أن أبرق عمدة التوفيقية بوجوده بمنطقته ، واحتفلت البحيرة بذلك ، وركب المأمور حصانا يجر جثة الطاغية تصبغ الأرض بدمه معلنة أن الجريمة لا تفيد ! ، ولكن الشاعر الفولكلورى كما قلت متأثر بشخصية أدهم لتحديه الحكومة الظالمة فى ذلك الوقت فيشحن عواطف السامعين بالرحمة والعطف على أدهم ، والحقد على الحكومة بقوله :

أمانة ياعيلة الشرقاوى حد بعديه لا أخ ليه ولاعم ليه
وحد التار بعديه ، ياقاعدين كلكم وحدوا الاله ياهوه
الحادثة اللى جرت على سبع شرقاوى داسو عليه الطغاة قتلوه

محمد ع - راضى

صورة خبيثة ..

.. وإطار جذاب !!

«إن الطبيعة أغنى وأعمق فى محتواها من الفن بدرجة تفوق المقارنة إلا أن الناس مع ذلك لا يقنعون بالطبيعة ويطلبون الفن ، لماذا ؟ لأنه مع أن كلا منهما جميل إلا أن اشكال الأدب والفن الخالقة تفوق الطبيعة فإنها أكثر انتظاما ، ، واكثر اختصارا ، واكثر مثالية فهى أشد شمولا وهذا ، ماوتسى تونج

تتحقق هذه النظرية بحذا فيرها فى أسطورة أدهم الشرقاوى فهى تعطى صورة كاملة ذات بداية ونهاية تخضع للمقاييس الشعبية فى التصوير وللذوق المصرى الصميم فى تلوين حوادثها وترتيبها ترتيبا مشوقا يستلفت الانتباه وهى فوق ذلك كله مجملة فى عدد غير كبير من الأبيات الشعرية الشعبية لشاعر مجهول ، وهذا فهى أشمل من أصلها الواقعى الذى تكلم عنه الزميل حمدى راضى

والقصة أو الأسطورة الشعبية تمتاز بأنها تبدأ بداية معروفة كأن يقال مثلا : كان ياما كان أو يطلب الراوى الصلاة على النبى أو يبدأ بحكمة تضفى على أسطورته شيئا من الإحترام والأهمية وذلك هو ماحاول الشاعر أن يقوم به فى بداية الأسطورة عندما قال.

منين أجيب ناس لمعنات الكلام يتلوه ... الخ

وهو بذلك يستلفت إنتباه مستمعيه ويشحذ هممهم لتذوق معانى الأسطورة ثم يمضى بهم شيئا فشيئا نحو لب الأسطورة فصور حالة أدهم عندما علم بمقتل عمه ، ثم تصميمه على الانتقام ، وينتقل إلى تصوير اقتصاصه من أهل القاتل ، ثم يصوره سجينا وهنا تتكون عناصر الصدفة بالتقائه مع القاتل الحقيقى .. والصدفة عنصر أساسى من عناصر الأسطورة الشعبية فنجدها فوق التشويق الذى تضيفه على سياق الأسطورة ـ مقبولة قبولا تاما من لدى أذهان العامة دون التفرقه بينها وبين الحقيقة الواقعة .. ثم تسرع الحوادث بعد ذلك ولكنها لا تتعقد : قتل ، وهروب ، وتنكر وتحايل على الحكومة الممثلة فى مأمور المركز كل هذا فى بساطة وعرض سريع لا يكلف المستمع مشقة أو جهدا .. وبعد ذلك يحاول الراوى أن يجمع خيوط القصة ويربط بينها ليسير بها إلى النهاية المرسومة عندما ترسل الحكومة إلى أدهم ـ صديقا خائنا ـ على حد قول الشاعر ـ يقتله مقابل ترقية يحصل عليها وتتضح تلك الحقيقة أمام عينى أدهم وهو يلفظ آخر أنفاسه فيردد « : والحق عليه اللى سلمت ابن المره الجره » وبذلك تكون الأسطورة قد بلغت قمة المأساة ويبلغ المستمع كذلك منتهى التأثر النفسى وخاصة عند ما يختتم الراوى الحديث عن أدهم بقوله :

أمانة يا عيلة الشرقاوى ...الخ

وعندما نعرف أن « القصة هى أسلوب التاريخ الشعبى الأوحد وبواسطتها أذاع العامة حياتهم ووقائعها وأبرزوا فيها ما أرادوا ، وخلدوا بها النماذج والشخصيات والوقائع التى تمثل حاجة فى مجتمعهم » نستطيع أن نتبين بين ثنايا هذه الأسطورة كل ما يحقق تلك المعانى التى شرحها الأستاذ رشدى صالح شرحا دقيقا فى كتابه الثانى «فنون الأدب الشعبى» فالأسطورة قائمة على تخليد شخصية شعبية مغامرة تبدو فيها ملامح المصرية الخالصة من سرعة بديهة إلى سخرية مرة إلى حب المغامرة والمحافظة على الشرف والكرامة ولكنها تنحو فى الوقت نفسه نحو الرفعة من شأن الأخذ بالثار وتمجيد الأشرار الذين يزاولون تلك الجريمة المنكرة بوضعهم فى مصاف الأبطال كما فعلت مع أدهم تماما فهو ، كما علمنا من الفصل السابق لم يكن إلا مجرما عاديا بل مجرما خطر الا يستحق كل هذه الأهمية التى خلعتها الأسطورة عليه وهذه هى نقطة الاختلاف بينها وبين الغالبية من الأساطير الشعبية التى تبنى على تمجيد فعل الخير وتمجيد الأبطال الذين يدافعون عن المبادىء السامية وهى باختلافها هذا تنقل إلى أذهان العامة صورة خبيثة فى إطار جميل جذاب يغرى بقبوله .. حتى عند مصرع أدهم وانتصار الخير فى الأسطورة نجد أن الشاعر يترحم على المجرم بكلمات تستدر عطف المستمعين وشفقتهم بل ودموعهم فى آن

واحد فى حين تبغض المستمع فى البطل الحقيقى الذى استطاع تخليص الناس من آثام الأدهم وشروره ، بل يهزأ به الشاعر فى قوله :

قال أنا أدلكم عليه ولا آخد فيه بيه ولا باشا
قاموا عطوله شريطين بقه أمباشى

محمد فرحات القاضى

وهكذا .. نجد أن موال الأدهم الشرقاوى لايخرج عن كونه قطعة حية من تراثنا الشعبى القريب ، ولايخلو من أخطاء فنية وموضوعية تبرأ منها الأسطورة المصرية الصحيحة بمعناها الحقيقى .

أما اهتمامنا بتحقيق ونقد ودراسة هذا الموال فيرجع إلى أننا نبغى تصحيح خطأ موضوعى بالموال ، تبعتها أخطأ كتاب بنوا دراستهم عليه بدون تبين وتحقيق لهذه الأخطاء ، والشعب هو وسيلة ذلك التحقيق .